الأسلوب الشرعي في نصيحة الولاة والحكام

سيد عبدالغفار بخاري*

الحمد لله رب العالمين القائل ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[1] والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين القائل " الدِّينُ النَصيحةُ قيل لمن يا رسول الله قال للّهِ ولِرَسولِهِ ولأئمةِ المُسلمين ولعامّتِهم"[2] وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد! فإن البحث يشمل ما يلي :

أولا: المقدمة (أهمية الموضوع)

ثانيا: دراسة الموضوع وتتكون من أربعة مباحث :

الفصل الأول :تعريف النصيحة شروطها وحكمها للولاة والحكام.

الفصل الثاني : منهج الإسلام في مناصحة الولاة والحكام.

الفصل الثالث: حقوق الولاة والحكام و واجباتها في الشرع

الفصل الرابع :الشبهات التي يعرضها أهل الأهواء والرد عليها

ثالثا: الخاتمة (النتائج والتوصيات والمقترحات)

أهمية الموضوع:

فقد أمرت الشريعة المطهرة المسلمين بإقامة الأخوة الدينية من المحبة والإخاء والاحترام والتقدير فيما بينهم،وتقويمهم في تصحيح ما قد يقع منهم من خطأ أو خلل في مسيرتهم الذاتية،ولما كانت النفوس جبلت للوقوع في الخطأ كان لابد من وجود ما يرشد إلى ما يصلحه ويسدده و لذلك أمر الشارع الحكيم بالنصيحة التي تعتمد على حب الخير للمنصوح والرغبة في استقامة حاله وصلاحها. إذا فللنصيحة مكانة رفيعة ومنزلتها عند الله عظيمة وهي دعامة من دعامات الإسلام وأصل من أصوله وهي من أوليات حق المسلم على أخيه المسلم.

وتزداد النصيحة أهمية للولاة والحكام لأنهم من أولى الناس بها لعظيم مكانتهم وكبير حقهم ولقوة أثرهم في الرعية ولكثرة الأسباب التي تزين لهم الباطل وتصدهم عن الحق.فلذا لابد أن تكون النصيحة وانتصاحهم للولاة في مقدمة المنتصحين؛ لأن نصيحتهم فيها الخير كل الخير لهم، ولمن يتولون أمرهم، فحقوق الولاة في الإسلام أمر لم تغفله الشريعة بل تضافرت النصوص الصريحة من الكتاب والسنة الصحيحة، وفقه سلف الأمة على بيانه، وتحذير المسلمين من مخالفته.

فلذلك حرص علماؤنا على نصح الحكام بما يسدد مسيرة الدولة، ويبرئ ذمة العلماء، وهذا كان منهجاً لعلمائنا الكرام، فإنّ هذه الناحية اى النصيحة من أهم نواحي ذلك التاريخ الوضاء،وقد كان من محاسن علماء الإسلام وحماته أنْ قاموا بنصيحة الولاة والحكام ، وأتمّ لهم ما أرادوه من إبلاغ الحقّ، وإقامة الحجة في وضوح ونصاعة.

إنّنا أمّة مسلمة قد أنعم الله علينا بنعمة الإسلام، وشرع لنا وسائل وأسلوب النصيحة في أداء ذلك الواجب فعلينا أن نختار الأسلوب الصحيح في نصيحة الولاة ولنا فيها قدوة وسيرة السلف الصالح وأن نبتعد بها عن الأنموذج

* الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية ، الجامعة الوطنية للغات الحديثة اسلام آباد،باكستان

الغربي اللاديني في كيفية أداء النصيحة، والذين يدعون الناس إلى المظاهرات والثورات والإنقلابات و يحثهم على الخروج على الحكام.نسأل الله العفو والعافية والتوفيق.

الفصل الأول :تعريف النصيحة ، شروطها وحكمها للولاة والحكام:

المبحث الأول: تعريف النصيحة ،شروطها وآدابها :

أولا:النصيحة لغة:

لفظ نصيحة مأخوذة من الفعل نصح، وهو يدل علي معان كثيرة ،منها بمعنى خلص قال ابن منظور: "نصح أي: خلص، والناصح أي: الخالص من العسل وغيره، العسل إذا كان صافيا يسمى ناصحا أي: خالصا، و المصدر نصحا ونصيحة وتقول: نصحت فلانا ونصحت له وهوالأفصح"[3] لأنه ورد في القرآن﴿ وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾[4]. ويقال: انتصح فلان أي قبل النصيحة،ومنها بمعنى الخياطة ، والنصح مصدر قولك نصحت الثوب إذا خطته يقال نصح الثوب ينصحه نصحا وتنصحه:خاطه والمنصحة هي الإبرة،ورجل ناصح اى خائط. [5]

ثانيا:النصيحة في الإصطلاح:

أما النصيحة في الاصطلاح قال ابن الأثير: "النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة وهي إرادة الخير للمنصوح له، فليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيره أصل النصح في اللغة الخلوص "[6] أي بلغ من جماع هذه الكلمة وبلاغتها أنه لا يمكن التعبير عن هذا المعنى بكلمة واحدة إلا كلمة النصيحة.وذكر الإمام الخطابي: بمعناه. [7]

وقال الإمام الراغب: " النصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه "[8].

وذكر الإمام محمد بن نصر المروذي: قول بعض أهل العلم عن النصيحة: "هي عناية القلب للمنصوح له كائناً من كان"[9].

العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

فإذا نظرنا إلى المعاني اللغوية للنصيحة،وهي1: تخليص القول من الغش 2: وتحري صلاح المنصوح، تبين لنا أن العلاقة بينها وبين المعنى الإصطلاحي توجد وأما بالمعنى الأول وهي تخليص النفس من الشوائب، ونصح العسل هو تخليصه مما يشوبه، كذلك فإن نصح المرء في تكميل نقصه، وتصفية نفسه مما علق بها من الشوائب والذنوب وبالمعنى الثاني وهي سد النقص، ونصح الثوب هو خياطته فكما أن الإبرة تلم الثوب المهتري الذي يراد رتقه، ، فكذلك الناصح يلم شعث أخيه وما ظهر منه من العيوب باالنصيحة.

قال ابن حجر: "النصح هو تخليص الشيء من الشوائب والغش. فكأنه شبه الناصح بأنه يخلص المنصوح من الغش، ويخلصه من الشوائب التي علقت به وبحاله، كما يخلص العسل من الشمع والشوائب، ومنه قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [10] التوبة النصوح هي التوبة الخالصة من شوائب الرياء، والذنوب، والإصرار، وعدم الندم.. إلى آخره" [11]

قال الإمام النووي : "النصيحة مأخوذة من نصح الرجل ثوبه إذا خاطه. فشبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوص له بما يسده من خلل الثوب"[12]

والجدير بالذكر بأن حقيقة النصيحة على نوعين :

1: تكميل نقص: وهذا في حق العباد الذين يصيبهم النقص، وتقع منهم الأخطاء والذنوب والآثام ، ويتصور منهم التقصير.

2: وصف بالكمال: وهذا في حق الله تبارك وتعالى، وفي حق كتابه الكريم، وفي حق النبي ﷺ

ثالثا: أركان النصيحة : فللنصيحة أركان ثلاثة و هي:

1 : الناصح: وهو الذي ينصح غيره

2: المنصوح: وهو الذي ينصحه غيره

3: المنصوح به:وهو الأمر الذي ينصح به الناصح المنصوح

رابعا: شروط النصيحة :

لابد أن تتوفر في الناصح والمنصوح الشروط التالية:

1- الإسلام: فالأصل في الناصح أن يكون مسلماً وأما بالنسبة للمنصوح، فيرى بعض أهل العلم أنه لابد أن يكون مسلماً وحجتهم من اشترط الإسلام قوله السلام: ((والنصح لكل مسلم)) [13].

ويرى ابن حجر عدم اشتراطه وأن التقييد بالإسلام للأغلب، حيث يقول: "والتقييد بالمسلم للأغلب، وإلا فالنصح للكافر معتبر بأن يدعى إلى الإسلام، ويشار عليه بالصواب"[14].

2- البلوغ: فيتشرط في الناصح والمنصوح أن يكونا بالغين لأن البلوغ مناط التكليف، ومن لم يكن بالغاً فليس عليه تكليف، لقوله السلام: ((رفع القلم عن ثلاثة:وذ كر منها الصبي حتى يحتلم))[15].

3- العقل: فلابد أن يكونا عاقلين؛ لأن العقل مناط التكليف، وقد رفع القلم عمن ليس بعاقل، وفي الحديث السابق ((وعن المجنون حتى يفيق))[16].

يشترط في الأمر الذي ينصح به ما يلي:

1- أن يكون داخلاً تحت الأمر الشرعي، بأن يكون إما طلباً لفعل مطلوب فعله شرعاً، أو طلباً لترك أمر مطلوب تركه شرعاً، وعلى هذا فإن النصح بترك المأمور به شرعاً لا يسمى نصيحة ، وكذا النصح بفعل المحرم شرعاً لا يعد نصحاً شرعياً يحتم على المنصوح قبوله.

2 - أن يكون الأمر المنصوح به قد اتفق أهل العلم على طلب فعله أو تركه، ولا يكون أمراً خلافياً بينهم وهذا أمر متفرع على قاعدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في "أنه لا إنكار على مجتهد، ولا إنكار في أمر مختلف فيه".[17]

آداب النصيحة :لابد أن يتحلى الناصح بآداب النصيحة حتى تقع نصيحته من المنصوح موقع القبول، ومن هذه الآداب:

1: أن يقصد وجه الله عز وجل

2: أن يكون النصح بلطف وأدب ورفق

3: أن يكون النصح في السر

4 : اختيار الوقت المناسب للنصيحة

المبحث الثاني: مكانة النصيحة وأهميتها للولاة والحكام :

أولا:مكانة النصيحة :

إهتم الإسلام إهتماما كبيرا باالنصيحة،و هي وسيلة من وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وركنًا من أركانه، والخطوة الأولى إذا اشتملت على الإخلاص لله تعالى و أسلوب الجميل في إسدائها لمن يرى أنه مستحق لها. إذا فالنصيحة تعتبر ركنًا من أركان دين الإسلام الحنيف، وجعل الله تعالى التمكين لهذه الأمة في الأرض إذا قامت به على الوجه المطلوب و لذلك عظم الرسول ﷺ النصيحة فجعلها هي الدين، حيث قال ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ لِلَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ)).[18]

عرف الدين بأنه نصيحة مع أن تكاليف الدين كثيرة، وليست محصورة في النصح وحده، لأن النصيحة هي حل الدين، فحصر رسول الله ﷺكل الدين فيها.كما قال عليه الصلاة والسلام ((الْحَجُّ عَرَفَةُ))[19] لعظم عرفة في الحج وهو أعظم ركن في الحج.

قال ابن حجر"هذا الحديث من الأحاديث التي قيل فيها إنها أحد أرباع الدين ... يحتمل أن يحمل على المبالغة؛ أي معظم الدين النصيحة... ويحتمل أن يحمل على ظاهره؛ لأن كل عمل لم يرد به عامله الإخلاص فليس من الدين"[20]

ويقول الحافظ ابن رجب: "فهذا يدل على أن النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وسمى ذلك كله ديناً".[21]

وقال الإمام النووى"هذا حديث عظيم الشأن وعليه مدار الإسلام".[22]

ورد حديث بلفظ ((الدِّينُ النَّصِيحَةُ)) بتمامه من طريق خمسة من الصحابة و هم تميم ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأبي هريرة ، وثوبان رضي الله عنهم. كما وردت أحاديث أخرى في النصيحة عن عدة من الصحابة و هم:جرير، حذيفة ، أنس بن مالك ، أبو أمامة ، أبو أيوب ، أبو زيد رضي الله عنهم وغيرهم.

فثبت من ذلك أن حديث النصيحة قد بلغ مبلغ التواتر، وفي هذا الصدد يقول محمد بن جعفر الكتاني: "أحاديث بذل النصيحة للأئمة وغيرهم من المسلمين متواترة".[23] وقال الشيخ صديق حسن خان: "والأحاديث الواردة في مطلق النصيحة متواترة وأحق الناس بها الأئمة".[24]

ثانيا: أهمية النصيحة للولاة والحكام :لا شك أن كل شخص بحاجة إلى نصح إخوانه حتى الولاة ، بل و حتى الأنبياء بحاجة إلى هذا التناصح فقد ذكر الله عزوجل حكاية عن الرجل المؤمن ينصح موسى عليه السلام ﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [25]

وتزداد النصيحة أهمية للولاة والحكام لأنهم من أولى الناس بها لعظيم مكانتهم وكبير حقهم ولقوة أثرهم في الرعية ولكثرة الأسباب التي تزين لهم الباطل وتصدهم عن الحق.فقد قال عليه الصلاة والسلام ((إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)). [26]

أما النصيحة للولاة والحكام: فمعناه طاعتهم واتباعهم وتأييدهم، ونصرتهم والجهاد معهم، والقيام بحقوقهم وعدم شق عصا الطاعة عليهم والدعاء لهم.

قال الحافظ ابن رجب: "...وأما النصيحةُ لأئمة المسلمين فحبُّ صلاحِهم ورشدهِم وعدلهم ، وحبُّ اجتماع الأمة عليهم ، وكراهةُ افتراقِ الأمة عليهم ، والتدينُ بطاعتهم في طاعة الله عز وجل ، والبغضُ لمن رأى الخروجَ عليهم، وحبُّ إعزازهم في طاعة الله عز وجل".[27]

قال ابن الأثير" ومعنى نصيحة الأئمة أن يُطِيعَهم في الحق ولا يَرى الخروجَ عليهم إذا جارُوا ونَصيحة عامّة المسلمين إرشادُهم إلى مصالِحِهم ".[28]

قال الخطابي رحمه الله:" وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق وطاعتهم وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف وإعلامهم بما غفلوا عنه وتبليغهم من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم بالسيف وتأليف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم وأن يدعو لهم بالصلاح" .[29]

فثبت من ذلك أن النصيحة للولاة والحكام، تكون معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه،وتنبيههم عند الغفلة،وسد خلتهم عند الهفوة،وجمع الكلمة عليهم،ورد القلوب النافرة إليهم،ودفعهم عن الظالم بالتي هي أحسن .

المبحث الثالث: حكم النصيحة للولاة والحكام:

أما حكم النصيحة فقد ذكر عن أهل العلم الأقوال التالية:

القول الأول:فقد ذكر بعض أهل العلم أن النصيحة واجبة لأن الله عز وجل قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[30] فهذه الآية نص في وجوب طاعة أولي الأمر وهم الأمراء والعلماء، كما السنة المطهرة تبين أن النصيحة لازمة، وهو قوله عليه الصلاة والسلام ((وإذا استنصحك فانصح له))[31] لأن الكلمة في البداية كلمة حق أي لا بد أن تودى لأنه حق. ثانيا "فانصحه": صيغة الأمر التي تدل على الوجوب أصلا وهي فريضة في المعروف.رجح ابن حجر هذا القول حيث قال: "حكمها الوجوب على قدر الحاجة إذا أمن على نفسه".[32]

وقال الحافظ ابن عبد البر:" وأما مناصحة ولاة الأمر فلم يختلف العلماء في وجوبها إذا كان السلطان يسمعها ويقبلها".[33]

وقال رحمه الله أيضاً:" وأما قوله: "تناصحوا من ولاه الله أمركم" ففيه إيجاب النصحية على العامة لولاة الأمر وهم الأئمة والخلفاء وكذلك سائر الأمراء ...".[34]

كما رجح الإمام ابن حزم هذا القول حيث قال: "النصيحة لكل مسلم فرض " [35]

القول الثاني:يرى ابن بطال أنها فرض كفاية حيث قال:" والنصيحة فرض يجزي فيه من قام به ويسقط عن الباقين"[36]

القول الثالث:ذكر ابن رجب أن النصيحة نافلة حيث قال" وأما النصيحة التي هي نافلة لا فرض، فبذل المجهود بإيثار الله تعالى على كل محبوب بالقلب وسائر الجوارح، حتى لا تكون في الناصح فضلاً عن غيره، لأن الناصح إذا اجتهد لم يؤثر نفسه عليه، وقام بكل ما كان في القيام به سروره ومحبته، فكذلك الناصح لربه"[37].

وقيل إن النصيحة قد تكون فرضاً، وقد تكون نافلة، فالنصيحة المفروضة: "هي شدة العناية من الناصح باتباع محبة الله في أداء ما افترض، ومجانبة ما حرم"[38].

ولا شك أن أولى من هذه الأقوال بالقبول قول من قال إن النصيحة واجبة على كل مسلم، ولا أرى منافاة بين هذا، وبين ما نقل عن ابن رجب رحمه الله. لأن النصيحة لا تخرج عن كونها ، فرض عين أو على الكفاية ، أو مندوبة.

الفصل الثاني: منهج الإسلام في مناصحة الولاة والحكام:

المبحث الأول: الأساليب المهمة في النصيحة :

لقد ركز القرآن الكريم على الأسلوب في النصيحة تركيزا لطيفا، فقال الله تعالى لموسى وهارون عندما أرسلهما إلى فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[39] وإذا نظرنا إلى سيرة المصطفى ﷺ نجد نصيحته عليه الصلاة والسلام تتصف اتصافا كاملا بهذه الصفة، ونجد مواقف كثيرة من سيرته الطيبة فهذا الصحابي معاوية بن الحكم السلمي أثرت نصيحة الرسول ﷺ في نفسه أثرا بالغا، لذلك يقول "فوالله ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه ﷺ "[40] وأيضا قصة الأعرابي الذي بال في المسجد [41].

فللناصح أن يلاحظ الفروق بين النصح والتعيير و هى كالتالى:

1- النصيحة تكون في السر، والتعيير يكون في العلن

2- المؤمن يقوم بالنصح ، والفاجر يقوم بالتعيير

3- غرض الناصح الإصلاح وغرض المعير الإفساد

4- الناصح يؤدي حقاً واجباً عليه لأخيه المؤمن: فهو مأجور على نصحه لأخيه، وأما المعير فهو مهتك لحقوق العباد مفرق لجماعتهم، مفسد لدينهم، وبالتالي فهو آثم

5- الناصح يخلو من حظ النفس في الغالب، وأما المعير مرض قلبه فهو غير خال منه

إذا فلا بد للناصح أن يختار حسن الأسلوب في النصيحة وأن يفرق بين النصيحة والتأنيب، وبين النصيحة والتعيير فعلى الناصح أن يختار عند إسداء النصيحة من أسلوب جميل و وسيلة مناسبة لتصل نصيحته إلى قلب المنصو ح فيتأثر بها حتى يكون للنصيحة أكبر أثر وأكثر قبول ، وأسرع استجابة لمن أسديت إليه و أن لا ينتظر الناصح قبولها وإنما عليه أداء الواجب دون العتاب على عدم الأخذ بها. و أن لا تكون النصيحة على وجه التوبيخ أو التعيير أو يقصد به الاستعلاء.

وهناك الأساليب المهمة لإسداء النصح فلابد للناصح أن يختارها ،ومن هذه الأساليب ما يلي :

1:النصيحة بين التملق والتشهير

النصيحة عبادة ومسئولية، فإذا انقلبت إلى تجريح أو تشهير أو تملق أو تزلف فقد خرج الناصح بدين الله تعالى عن الطريق الصحيح إلى أغراض أخرى شخصية ومطامع دنيوية،فلابد أن تكون النصيحة بين التملق والتشهير.

2 :النصيحة بين التدرج وعدمه

الحكمة في النصيحة أن تتدرج أثناء عرضها، وأن يبدأ الأهم فالأهم فعلي الناصح أن يبدأ بالمنكر الأكبر أولا، وبعد فترة من الزمن يفتح معه موضوعا آخر، وبعد فترة ثالثة يفتح موضوعا ثالثا وهكذا..وهذا لا ينافي عرض الحق على الولاة، لأنه لا يلغي هذا المنكر أو يهمله تماما وإنما يؤجله إلى وقته المناسب .

3 : النصيحة بين التلميح والتصريح

إن من الحكمة أن تكون النصيحة بأسلوب التلميح وليس بأسلوب التصريح، فأسلوب التلميح من الأساليب الناجحة إذا أحسن استخدامه، و كان رسول الله ﷺ يستخدم هذا الأسلوب.

4: النصيحة بين التعميم والتخصيص

النصيحة بين التعميم والتخصيص، هذه من النقاط المهمة وهو قول الرسول ﷺ ((ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا)) بأسلوب التعميم، وأحيانا كان الرسول ﷺ يخصص في النصيحة ويذكر اسم الشخص أو صفاته ويبين ويوضح بحسب ما تقتضيه المصلحة.

ولكن مع الأسف الشديد بأن الكثير من المسلمين لا يلتزمون بهذه الهداية القرآنية للنصيحة فلو نظرنا إلى أسلوب المبشرين بالديانة النصرانية المحرفة حيث وصلوا إلى نجاح عظيم بسبب حسن أسلوبهم ، لأن أسلوبهم يعتمد على اللين والعاطفة، حيث يتدسسون إلى المسلمين تدسسا رفيقا بلين ، فهذا هو السبب الرئيسي إبعاد كثير من الناس عن الإسلام أو دخولهم في النصرانية، فنحن المسلمون وراث السنة المطهرة الأحق بإختيار الأسلوب الجميل في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: مراعاة الأسلوب الحسن في مناصحة الحكام:

ولما كانت النصيحة موجهة للولاة والحكام أحاطتها الشريعة الإسلامية بمزيد عناية ورعاية لما لهم من الخصوصية، فعلى الناصح يتوخى في مناصحة الحكام أجمل العبارات وأسهل الألفاظ وأحسنها موقعاً.. فعن شريح بن عبيد رضي الله عنه قال قال عياض بن غنم لهشام بن حكيم ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ ((من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه)) . (42)

ويؤكد هذا ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم من امتثالهم لهذا النهج" فقد قيل له أسامة بن زيد رضي الله عنه ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه". (43)

قال الإمام النووي رحمه الله موضحا قصد أسامة قوله"أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من افتتحه يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ". (44)

قال الشوكاني :"ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن يناصحه ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل كما ورد في الحديث أنه يأخذ بيده و يخلو به ويبذل له النصيحة ولا يذل سلطان الله". (45)

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله "والجامع لهذا كله أنه إذا صدر المنكر من أمير أو غيره أن ينصح برفق خفية ما يشرف عليه أحد فإن وافق وإلا استلحق عليه رجلاً يقبل منه بخفية فإن لم يفعل فيمكن الإنكار ظاهراً إلا إن كان على أمير ونصحه ولا وافق واستلحق عليه ولا وافق فيرفع الأمر إلينا خفية"(46)

وقال العلامة ابن سعدي رحمه الله في النصيحة لأئمة المسلمين "وعلى من رأى منهم ما لا يحل أن ينبههم سراً لا علناً بلطف وعبارة تليق بالمقام ويحصل بها المقصود، فإن هذا مطلوب في حق كل أحد وبالأخص ولاة الأمور، فإن تنبيههم على هذا الوجه فيه خير كثير، وذلك علامة الصدق والإخلاص، واحذر أيها الناصح لهم على هذا الوجه المحمود أن تفسد نصيحتك بالتمدح عند الناس فتقول لهم إني نصحتهم وقلت وقلت فإن هذا عنوان الرياء وعلامة ضعف الإخلاص، وفيه أضرار أخر معروفة "(47)

وقال العلامة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى"ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر، لأن ذلك يفضي إلى الفوضى، وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي

يضر ولا ينفع. ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجّه إلى الخير." (48)

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: "ومن حقوق الرعاة على رعيتهم أن يناصحوهم ويرشدوهم وأن لا يجعلوا من خطئهم إذا أخطأوا سلما للقدح فيهم ونشر عيوبهم بين الناس فإن ذلك يوجب التنفير عنهم وكراهتهم وكراهة ما يقومون به من أعمال وإن كان حقا ويوجب عدم السمع والطاعة لهم" (49)

قال الشيخ صالح الفوزان "لا شك أن الولاة كغيرهم من البشر ليسوا بمعصومين من الخطأ ومناصحتهم واجبة ولكن تناولهم في المجالس وعلى المنابر يعتبر من الغيبة المحرمة، وهو منكر أشد من المنكر الذي يحصل من الولاة لأنه غيبة، ولما يلزم عليه من زرع الفتنة، وتفريق الكلمة، والتأثير على سير الدعوة".(50)

المبحث الثالث: نماذج من نصائح السلف:

لقد حرص علماؤنا على نصح الحكام بما يسدد مسيرة الدولة، ويبرئ ذمة العلماء، وهذا كان منهجاً لعلمائنا رحمهم الله تعالى، ولعل لايكمل الكلام بدون ذكر أمثلة حية للنصيحة عند سلفنا الصالح ، لأنهم أقرب إلى عصر النبوة، وأسلم ديناً، وأصفى نفوساً، وأرق قلوباً، ولأن الأمة الإسلامية في أمسّ الحاجة للإلتفات نحو تاريخ سلفها الصّالح للإقتباس والإقتداء والإعتبار، فإنّ هذه الناحية اى النصيحة من أهم نواحي ذلك التاريخ الوضاء.وقد كان من محاسن علماء الإسلام وحماته أنْ قاموا بنصيحة الولاة والحكام ؛ وأتمّ لهم ما أرادوه من إبلاغ الحقّ، وإقامة الحجة في وضوح ونصاعة، وظهور يليق بهذا الحق الذي يدعون إليه. ، وفي هذا يقول الأستاذ عبد العزيز البدري: " وكانت النصيحة وانتصاحهم للحاكم في مقدمة المنتصحين؛لأن نصيحتهم فيها الخير كل الخير لهم، ولمن يتولون أمرهم".(51)

وهذه بعض نماذج من نصح هؤلاء يحسن أن يطلع عليها الجيل المتوثّب، عسى أن يَجد فيها قبسًا يضيفه إلى المشاعل التي تركها سلف أمّاجد؛ ليستنير بها مَن وُفّق إلى الرشاد، فانتهج سبل الفلاح وطريق النجاح. وقد كان من أولئك الناصحين أبو حازم سلمة بن دينار فهو ينصح سليمان بن عبد الملك.

النصيحة الأولى:نصيحة أبو حازم لسليمان بن عبد الملك:

لما حج سليمان بن عبدالملك استحضر أبا حازم، فقال له: تكلم يا أبا حازم، قال: فيمَ أتكلم؟ قال في الخروج من هذا الأمر، قال: يسير إنْ أنت فعلته، قال: وما ذلك، قال: لا تأخذ الأشياء إلاّ بحَقها ولا تضعها إلا في أهلها، قال: ومن يقوى على ذلك؟ قال: مَن قلّده الله من الأمر ما قلدك، قال: عِظْني يا أبا حازم؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الأمر لم يصلْ إليك إلاّ بمَوت من كان قبلك، وهو خارج منك بمثل ما صار إليك، ثم قال: يا أمير المؤمنين، نَزِّه ربك في عظمته عن أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.(52)

النصيحة الثانية:نصيحة الإمام مالك بن أنس لخليفة هارون الرشيد :

فقد كتب إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله، إلى الخليفة هارون الرشيد رسالة ينصحه فيها، ويقول:أما بعد، فإني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رشداً، ولم أدخر فيه نصحاً، تحميداً لله وأدباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدبره بعقلك، وردد فيه بصرك، وأرعه سمعك، ثم أعقله قلبك، وأحضر فهمك، ولا تغبن عنه ذهنك، فإن فيه الفضل في الدنيا وحسن ثواب الله في الآخرة.اذكر نفسك في غمرات الموت وكربه ما هو نازل بك منه، وما أنت بموقوف عليه بعد الموت من العرض على الله سبحانه، ثم الحساب، ثم الخلود بعد الحساب،ثم قال له: لا تأمن على

شيء من أمرك من لا يخاف الله، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ((شاور في أمرك الذين يخافون الله)) احذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك، فإنه بلغني عن النبي ﷺ إنه قال "ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً".(53)

دلالات في نصيحة الإمام مالك:

والناظر في هذه فقرات من نصيحة الإمام مالك لهارون الرشيد، يجد أن ثمة دلالات يمكن أن تلمح في هذه النصيحة، ومن هذه الدلالات نذكر ما يلي:

1. أن النصيحة صدرت من عالم ورع و تقي
2. الحرص الشديد في أداء النصيحة والإخلاص فيها وهي خرجت من قلب صادق
3. كانت النصيحة المسداة هنا شاملة تحوي كل معاني الإيمان، والدعوة إلى التمسك بأحكام الإسلام وحدوده وآدابه
4. قوبلت هذه النصيحة بالقبول من المنصوح ، وهذه ثمرة النصيحة المرجوة منه
5. نصيحة الحاكم أعمق أثراً، وأشد خطراً من نصيحة أفراد الرعية
6. جوانب النصح للحاكم عند مالك متعددة

نصيحة الإمام أبو حامد الغزالي فخر الملك:

لقد نصح الإمام الغزالي أهل زمانه عامة وخاصة، ولقد كان من نصحه رسالة بعث بها إلى فخر الملك وهو أحد حكام عصره، فكتب فيها: "إعلم أن هذه المدينة (مدينة طوس) خراباً بسبب المجاعات والظلم، ولما بلغ الناس توجهك من أسفرائين ودامغان خافوا، وبدأ الفلاحون يبيعون الحبوب، واعتذر الظالمون إلى المظلومين واستسمحوهم، لما كانوا يتوقعون من إنصاف منك، واستطلاع للأحوال، ونشاط في الإصلاح.أما وقد وصلت إلى طوس، و لم ير الناس شيئاً، فقد زال الخوف، وعاد الفلاحون والخبازون إلى ما كانوا عليه من الغلاء الفاحش والاحتكار، وتشجيع الظالمون، وكل من يخبرك من أخبار هذا البلد بخلاف ذلك، فاعلم أنه عدو دينك".(54)

دلالات في نصيحة الإمام الغزالي:

تتجلى في نصيحة الإمام الغزالي دلالات كثيرة ومنها:

1. لم يقتصر في نصائح الحكام على المخاطبة، بل نصحهم أيضاً بإرسال الرسائل إليهم
2. الحرص على اعطاء الصورة الحقيقية للبلاد إلى الحاكم دون تقصير أو مداهنة
3. الحرقة على أحوال الناس في زمانه من شدة المعاش، إلى مظالم تترى
4. القوة في الخطاب، وقد وقعت موقعها، وجاءت في موعدها
5. الإنذار ونتائج عند عدم قبول النصيحة

الفصل الثالث:حقوق الولاة والحكام و واجباتها في الشرع:

المبحث الأول: أهمية الولاة والحكام:

أن أعظم الحقوق وأشدها فائدة في المجتمع بعد حق الله تعالى ما افترضه الله بين الخلق هو حقوق الولاة والحكام على الشعب وحقوقهم عليها ، وصلاح كل واحد منهما متوقف على صلاح الآخر، توقفاً تكاملياً، ولأجل

أهميته على أن صلاح المجتمع بصلاح الولاة وبفسادها يفسد المجتمع فقد ركزت الشريعة الإسلامية بإعطاء كلا الفريقين الشعب والولاة حقوقهم وهذه الحقوق ليس من باب المندوب بل هو فريضة أوجبها الله على الطرفين وحكم بها لكل واحد منهما نحو الآخر وجعل هذه الحقوق مجمعا وقاعدة أساسية لوحدتهم وتماسكهم وتعاضدهم لأن اجتماع القيادة مع الشعب في وحدة الطريق والهدف يجعل الدولة في أعظم مراتب القوة والمنعة وبهذا يحصل تعاون وتعاضد ومحبة بين الولاة والشعب وبذلك ييأس الأعداء وتنقطع مطامعهم لأن مطامعهم تتزايد عندما يحصل اختلاف بين الولاة وشعبه، و تستقر البلاد وتحصل الوحدة والألفة بين الأمة،و بسبب تماسكهم مع شعبها تخشى الأمم المتحضرة و تهاب الدول الكبرى صاحبة القوة ولا يجرؤ عليها عدو أو يطمع فيها طامع.

ولتحقيق الصلاح العام بين المجتمع شعبها وحكامها لابد أن يكون تعاون واتفاق فيما بينهم ،كما يجب أن يكون هناك دستور يحكم الجميع من الولاة والشعب، ويسعى كلهم لتطبيقه، ولا يمكن أن تصلح الشعوب جميعها إلا بصلاح الولاة لأن الناس كما قيل على دين ملوكهم فإذا فسدوا انتقل الفساد إلى شعوبهم بحكم أن الولاة قدوة وأسوة تسير الشعوب خلفه فيما يقول ويعمل به.

والأحاديث والآثار المأثورة تؤكد ما للقيادة السياسية من دور كبير بل أكبر الأدوار في صلاح الأمة وفسادها،وما فسدت أمور الناس إلا بفساد هذين الصنفين،فأعقل الولاة و الحكام من وقف موقفاً سليما في الحكم و استعمل السياسة الحكيمة ولبى مطالب و حقوق شعبه وتوفير جميع حقوقهم وأقام العدل والمساواة بين أفراد المجتمع وعدم التمييز فيما بينهم لاشك أن هذه الأمور من أهم أسباب بقاء الدولة وقوتها واستمرارها ،فعزت الدولة وأصبحت قوية لاتفاق الحاكم والمحكوم واجتماع الجميع نحو تحقيق عزتهم وكرامتهم ويئست الأعداء من الطمع فيها والنيل منها و لم يبق لها فيها رغبة لعدم قدرتها عليها وبذلك تنحو نحو السعادة والرفاهية وتبسط ظلها في ربوع الأمان الداخلي والأمان الخارجي وأي دولة تأم من هذين الجانبين تعيش أحلى حضارتها وأشدها أزدهارا وعزة.

المبحث الثاني: حقوق الولاة:

لقد أعطى الإسلام الولاة حقوقاً كثيرةً لا يستطيع القيام بأعماله في تدبير شئون دولته دون إعطائه هذه الحقوق حصرها بعض أهل العلم كالماوردى و أبي يعلى في حقين هما النصرة و الطاعة و بعضهم أوصلها إلى عشرة حقوق مثل ابن الأزرق.(55)

لا شك أن هذه الحقوق المذكورة بعضها متداخلة مع البعض يمكن أن نحصرها في أمور تالية وهي الطاعة والإنقياد، والنصح والإخلاص،والوفاء بالبيعة والتوقير والاحترام ،والتعزير والنصرة،والصبر وعدم الخروج.

1 : **الطاعة و الإنقياد:**إن الطاعة و الإنقياد للولاة سبب كبير من أسباب الاستقرار السياسي وعامل عظيم من عوامل النجاح في تنظيم أمور الدولة وشؤونها ، فالطاعة والإنقياد لولي الأمر واجبةٌ شرعاً فيما لا معصية فيه لأنه لا تستقيم الحياة بدونها فهي مشروط ومقيد بطاعة الله وبطاعة رسوله ﷺ.فلا يمكن تحقيق مقاصد الشريعة الدينية و الدنيوية إلا بطاعة الولاة و ما ذلك إلا لعظيم هذا الحق و منزلته الرفيعة في الشريعة الإسلامية كما كان العلماء السابقين الكرام بينوا هذا الحق العظيم.

2 : النصح والإخلاص: من حقوق الولاة على الرعية نصحهم وإخلاصهم له سرا وعلنا منشطا ومكرها يسرا وعسرا وإبراز النصح وإظهار الإخلاص للولاة والحكام ويؤيدهم على اختيار البطانة الصالحة المخلصة ويجنبهم من وليحة السوء.

3 : الوفاء بالبيعة: من الحقوق التي تجب على الرعية تجاه الولاة الوفاء بالبيعة وحرمة نقضها ونكثها وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على وجوب الوفاء بالبيعة، كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [56]

وقوله ﷺ((من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامةلاحجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعةمات ميتة جاهلية)).[57]

4 : التوقير والاحترام: إن الشارع الحكيم قد أوجبت على المسلمين احترام وتوقير فئات من المجتمع وعلى رأسهم الأمراء فاكدت على احترامهم وتوقيرهم ونهت عن سبهم وانتقاصهم والحط من أقدارهم فحزم الإمام وقوته في إدارة شؤون دولته مع ما أوجبه الشارع من احترام وتوقير يمنع امتهان الناس له وهذا ما حرصت عليه الشريعة لتحقيق مقاصدها.

5: التعزيروالنصرة: من حقوق الولاة على الرعية نصرة الولا تهم وإعانتهم على إقامة الدين وتنفيذ الحدود وأخذ الحقوق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكذلك تنفيذ كافة آوامرهم المشروعة واعطاؤهم حقهم من الزعامة وفي الجهاد والدفاع عن المسلمين وبلادهم.فالولاة لاتستطيع القيام بهذه الواجبات من غير قيام الرعية بحق الولاء والنصرة.

6: الصبر وعدم الخروج:

يكاد أن لا تخلو أعمال الولاة من الظلم والتعدي على الرعية إلا من عصمه الله تعالى فحينئذ تجب على الرعية التزين بالصبر وعدم الخروج عليهم وقد أدرك النبي ﷺ هذه الحقيقة وعلم أن الناس سيقابلون ظلم الولاة والرد فأمرهم بالصبر عليهم.

المبحث الثالث:واجبات ولي الأمر:

لقد وضعت الشريعة الإسلامية القواعد العامة التي تبين واجبات ولي الأمر في إقامة الدين ونفاذ الشريعة وسياسة الناس به وهذه الواجبات منها ما هو واجب لله عزوجل ورسوله والجماعة المسلمين.

ومن تلك الواجبات التي جمعها الإمام الماوردي حيث قال والذي يلزمه من الأمورالعامة عشرة أشياء[58] يمكن لنا أن نخلصها فيما يلي:

1:حفظ الدين على اصوله المستقرة

أي المحافظة على التوحيد الخالص وأفراد العبادة لله عزوجل وإقامة شعائر الإسلام ومن حفظ الدين نشره والدعوة إليه ورد أهل الأهواء والبدع من نشر بدعهم و زيغهم وبيان الصواب لهم.

2:تنفيذ الأحكام بين المتشا جرين وقطع الخصام بين المتنازعين

أي يجب علمه نصب القضاء لقطع الخصومة بين الناس وكف الظالم عن المظلوم حتى يعم العدل لأن العدل من أسباب استقامة احوال الرعية وثبات الحكومة ودوامها ويدخل في ذلك التسوية بينهم في الحقوق والواجبات العامة.

3:حماية البلاد والذب عن الحريم ليتصرف الناس في المعايش.

فيجب على الولاة توفير الأمن والاستقرار للمجتمع حتى يأمن الناس على دينهم وأحوالهم وأعراضهم وكذلك المحافظة على الأمن والنظام العامة في الدولة وتأمين سلامة الطرق للتنقل بين المدن القرى.

4: إقامة الحدود لتصان محام الله تعالى عن الإنتهاك وتحفظ حقوق عباده من اتلاف و استهلاك ومن المهام الولاة اقامة الحدود و تنفيذها بين الرعية و عدم التعاون في ذلك صيانة لمحارم الله عن التحري عليها أو الحقوق العباد عن التخطي إليها

5: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظفر الأعداء

فيجب الولاة حماية البلاد والدفاع عنها وذلك باعداد العدة المانعة والقوة الدافعة من صناعة السلاح وتدريب الجنود حتى لا يستطيع الأعداء النيل من المسلمين أومعاهديهم.

6:جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة

فعلى الولاة أن يقوم بإزالة كل ما يقوم بإزالة كل ما يعيق نشر الإسلام ولو أدى إلى القتال و الجهاد لإزالة العقبات التي تمنع من نشر الدعوة الإسلامية ولكن هذا مشروط بوجود قوة للمسلمين ووجود عدوان على دعاة الإسلام أو بلاده.

7:جباية الفيئ والصدقات على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا

فعلى الولاة جباية الأموال التي أمر الشرع[59] وصرف تلك الأموال على مستحقيها وفي تدبير شئون الدولة والخدمات للأفراد والرواتب وما إلى ذلك.

8: تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير.

فمن المهام المنوطة بالولاة تقدير العطايا والحقوق الموجودة في بيت المال مثل رواتب الجنود والمجاهدين والموظفين بالدولة وإعانة الأسر المحتاجة أوالفقيرة فيصرف لهم من بيت المال من غير تبذيرأوبخل.

9:استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال ويكله إليهم من الأموال

يجب على الولاة أن يعين من يقوم بهذه الإمانة من ولاة و وزراء لأنه من المستحيل أن يقوم الولاة بجميع هذه الأعمال بنفسه ولكن عليه أن يختار الأصلح والأنصب من الناس لتعينه بهذا المهام.

10:أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال لينهض سياسة الأمة وحراسة المسلمة

ومن المهام تجاه ولي الأمر ايضا هو أن يقوم الإشراف المباشر على أعمال الدولة ويطلع على أحوال الرعية مع أنه يشرع له إتخاذ الولاة والوزراء ولكن عليه أن لايتكل عليهم مماما لأنه هو المسؤل أمام الله عزوجل يجب عليه أن يتفقد الرعية.

الفصل الرابع :الشبهات التي يعرضها أهل الأهو والرد عليها:

المبحث الأول: الشبهة الاولى: وجوب الأعلام في إنكار المنكر للولاة:

والله سبحانه وتعالى قد أوجب في كثير من الآيات في كتابه[60] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأصل فيه هو العلنية لا السرية وهو ما يتوافق مع النصوص الشرعية.

الرد عليها:

لاشك أن الإنكار على الولاة والحاكم ومناصحته من أعظم واجبات أهل العلم لأن الأمر المعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الدين، وقد كان موقف أهل السنة من المنكرات الصادرة من الولاة و الحكّام وسطاً ، وهم يخالفون طريقة الخوارج والمعتزلة والرافضة الذين يرون أن الإنكار على الولاة يكون حتى في المجالس العامة وأمام الناس وفي خطب المنابر، وكلا الطائفتين بمعزل عن الحق، وبمنأى عن صريح الكتاب والسنة، فذهب أهل السنة إلى وجوب

إنكار المنكر، لكن بالضوابط الشرعية التي جاءت بها السنة، وكان عليها السلف الصالح من هذه الأمة. ومن أهم ذلك وأعظمه قدراً أن يناصح ولاة الأمر سراً فيما صدر عنهم من منكرات، ولا يكون ذلك على رؤوس المنابر وفي مجامع الناس، لما ينجم عن ذلك غالباً من تأليب العامة، وإثارة الرعاع.

فهم يرون أن مناصحة الحاكم تكون على طريقة تالية:

فإن كان المنكر الخاص بالحاكم في خاصة نفسه وأهله و لم يظهر للعامة فهذا ينكر فيه على الولاة سرًا. وإن كان المنكر العام الذي يتعلق بأفعال الناس كبنوك الربا ونحوها فهذا يناصح سرًا وأما العامة فيحذرون من هذا المنكر وينبهون إلى تحريم الربا مثلاً, دون تعرض للحاكم الذي تمت مناصحته سرًا، إذ لا فائدة شرعية ولا مصلحة دينية من ذلك والمقصود من الإنكار إزالة المنكر.وهذه الطريقة المتبعة قديمًا وحديثًا ومن تأمل النصوص والقصص الواردة عن علماء السلف يجدها لا تخرج عن هذا النطاق مطلقًا [61]

المبحث الثاني:الشبهة الثانية:كيف يسكت على أخطاء الحكام ويتكلم على أخطاء العلماء:

الرد عليها:

في الحقيقة إن الرد عليه من الأهمية بمكان لأنها تجلي شبهًا كثيرة وتزيل إشكالات كبيرة، فالأصل في المكلفين أنهم خطّاءون، سواء كانوا العامة والعلماء أو الولاة وخير الخطّاءين التوابون، فالخطأ صادر من الولاة لامحالة ومن أصول هذا الدين العظيم النصيحة فهي تقتضي تبيين الخطأ والرد على المخطئ ، ويختلف أسلوب النصيحة على حسب مكان الشخص المنصوح فالنصيحة للحكام تختلف في الأسلوب عن النصيحة للعلماء ، كذلك النصيحة للعلماء تختلف في أسلوبها عن النصيحة للعامة، لأن الإظهار والتشهير لأخطاء الولاة خلاف السنة وخلاف منهج السلف الصالح،أماأخطاء العلماء فتجوز لأن السنة جاءت بهذا، وجرى عليه عمل السلف وعلينا أن نقتدي ولا نبتدي ونتبع ولا نبتدع، ولأن خطأ العالم ينسب إلى الدين في حين أن خطأ الحاكم لا ينسب إلى الدين، فالأول ضرره أعظم من الثاني.

فقد أمرت الشريعة بمناصحة الحكام سرًا، وعدم إظهار أخطائهم والتحدث بها في المجالس العامة أوالخاصة ومقصد الشريعة في ذلك الحفاظ على هيبة الولاة وحرمتهم ،إذا فالطريقة المشروعة هي مناصحتهم في السر.فهكذا جاءت السنة باحترام السلطان وتوقيره ولقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يقدرون الأمير ويحترمونه حتى لقد صار ذلك مضرب المثل عندهم .

قال ابن جماعة :"يعرف له عظيم حقه ، وما يجب من تعظيم قدره ، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام ، وما جعل الله تعالى له من الإعظام ، ولذلك كان العلماء والأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهم ، وعدم الطمع فيما لديهم".[62]

فالنصيحة في المجالس وفي المحافل تتنافى ما أمرت به الشريعة من إكرام الولاة واحترامهم بل فيها استخفاف وانتهاك حرمتهم وإسقاط هيبتهم وزرع الفتنة والفساد، فالواجب إيصال النصيحة لهم بالطرق مشروعة، لا بالتشهير والإشاعة.

ايضا قولهم: "كيف يسكت على أخطاء الحكام "فقد أخطأ فيه، لا يقول به أحد ، لأن السكوت على أخطاء الحكام لا يجوز ، لكن الأمر بالنسبة للحكام له وضع خاص فالعلماء وأصحاب الرأي ينصحونهم سرًا.

المبحث الثالث: الشبهة الثالثة: أن النصيحة تدخل فى الحريات الشخصية:

يقال: إن النصيحة تدخل في الحريات الشخصية فلا يجوز لأحد أن يدخل فيها ، فللمرء يفعل ما يشاء فهو حر في حياته فليس لأحد أن يأمر لشيئ أو ينهى عنه.

الرد عليها :

لا شك إن الحرية الشخصية مكفولة في الإسلام،بمعنى أنه يريد من المسلم أن يكون إنساناً حراً مكفول الحرية، لا يستطيع أن يعتدي عليه،ولا يسمح لأحد أن ينطلق الناس في حرياتهم الشخصية فيتجاوزون الحدود، ويقعون في المحرمات، ويعصون الله تعالى، وينتهك كل واحد حرمات الآخر، ويتلاعب كل شخص على الآخر، وتقدم البيوت بهذه المنكرات بحجة الحرية الشخصية إذا كان شخص يفعل المنكر، وقال: أنا حر في أفعاله، يقال له هذه ليست حرية، وإنما هي عبودية للأهواء، أي هذا يتبع هواه، وصار عبداً لهواه و لم يكون حراً.

المبحث الرابع : روايات وآثار يستدل بها مجوزوا الخروج على الولاة:

هناك بعض الروايات والآثار التي يستدل بها مجوزوا الخروج على الحكام ولكن مع الأسف هذه الروايات والآثار لا توجد في كتب الأحاديث والتاريخ بل وكتب المتقدمين والعلماء المحققين وإنما تجدها في كتب المتأخرين المعاصرين الذين يدعون الناس إلى المظاهرات والثورات والإنقلابات ويحثهم على الخروج على الحكام، بل بعضها لا توجد إلا في كتبهم نسأل العافية .

أولا: الروايات

الروايةالأولى: ((أطيعوهم ما أطاعوا الله فيكم فإن عصوا الله فلا طاعة عليكم عليهم)) [63]وهذه الرواية ليس لها إسناد بهذا اللفظ وإنما ذكر في كتاب مسند الربيع الإباضي من غير إسناد هذا المسند الذي يعدل صحيح البخاري عند الإباضية الخوار ج .

الروايةالثانية: حدثناه جعفر بن أحمد بن عاصم الانطاكي قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا إسماعيل بن عياش قال حدثنا عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺأنه قال : ((إنه كائن بعدي أمراء يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فلا طاعة لهم عليكم فلا تقبلوا إلابرأيكم)). [64]

أما اللفظ "فلا تقبلوا إلا برأيكم "فلا يحفظ إلا في هذا الحديث وقد روي في هذا المعنى بخلاف هذا اللفظ، هذا إسناد ضعيف لأن إسماعيل بن عياش روايته عن غير الشاميين ضعيفة [65]وهذه ليست من رواية الشاميين عنه وعبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة قال أبو حاتم "يروى عن اهل الكوفة وأهل المدينة و لم يرو عنه غير اسماعيل بن عياش، وهو عندي عجيب ضعيف الحديث منكر الحديث، يكتب حديثه، يروى احاديث مناكير، ويروى احاديث حسانا"[66] وشهربن حوشب ضعيف [67] فهذه ثلاث علل في هذا الحديث فالحديث ضعيف لايستدل به.

ثانيا: الآثار:

1:أثر خطبة أبي بكر: عن معمر عن رجل عن الحسن أن ابا بكر الصديق خطب فقال أما والله ما أنا بخيركم ولقد كنت لمقامي هذا كارها ولوددت لو أن فيكم من يكفيني فتظنون أني أعمل فيكم سنة رسول الله ﷺإذا لا أقوم لها إن رسول الله ﷺكان يعصم بالوحي وكان معه ملك وإن لي شيطانا يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني لا أوثر في اشعاركم

ولا أبشاركم الا فراعوني فإن استقمت فأعينوني وإن زغت فقوموني قال الحسن خطبة والله ما خطب بها بعده[68].هذا إسناد ضعيف لإنقطاعه وجهالة الرجل الذي روى عنه معمر.وأخرجه القاسم ابن سلام بإسناده لكن هذا إسناد ايضا ضعيف لأن علي بن هاشم صدوق في حفظه شيء قال ابن حبان يروي المناكير عن المشاهير[69]ولإنقطاعه بين عروة وأبي بكر.

2: أثر عن عمر: قيل أن عمر قام يخطب فقال:" أيها الناس من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه، فقام له رجل وقال: والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، فقال عمر الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيف". [70]

3: أثر عن حذيفة: حدثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال دخلت على عمر وهو قاعد على جذع في داره وهو يحدث نفسه فدنوت منه، فقلت ما الذي أهمك يا أمير المؤمنين، فقال هكذا بيده وأشار بها، قال قلت ما الذي يهمك والله لو رأينا منك أمرًا ننكره لقومناك، قال اللهِ الذي لا إله إلا هو لو رأيتم مني أمرًا تنكرونه لقومتموه، فقلت اللهِ الذي لا إله إلا هو، لو رأينا منك أمرًا ننكره لقومناك، قال ففرح بذلك فرحًا شديدًا، وقال الحمد لله الذي جعل فيكم أصحاب محمد من الذي إذا رأى مني أمرًا ينكره قومني.[71]

رجاله كلهم ثقات غير يحيى بن عيسى ، قال ابن معين عنه ضعيف وفي رواية ليس بشئ .وقال النسائي ليس بالقوي وقال ابن عدي عامة رواياته مما لا يتابع عليه وقال الإمام أحمد ما أقرب حديثه ، وذكره ابن حبان والعجلي في الثقات ولكن الرجل جرحه مفسر وقال ابن حبان وكان ممن ساء حفظه وكثر وهمه حتى جعل يخالف الاثبات فيما يروى عن الثقات فلما كثر ذلك في روايته بطل الاحتجاج به.[72] إذاً فالأثر ضعيف ، ولو صح الأثر لما كان فيه حجة لقولهم الباطل لأن التقويم يكون بالنصح لهم سرا كما هو معلوم في منهج السلف الصالحين رحمهم الله.

النتائج والتوصيات والمقترحات:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمد الله تعالى على توفيقه وامتنانه،على كتابة هذا البحث المتواضع بعنوان " الأسلوب الشرعي في نصيحة الولاة والحكام " فله الحمد أولا وآخرا، وفيما يلي أشير إلى أهم النتائج والتوصيات والمقترحات التي توصلت إليها من خلال دراسة هذا الموضوع.

أولا : النتائج:

1- النصيحة في الدين لها مكانة عظيمة، ومنزلتها رفيعة، وهي وأصل من أصوله و دعامة من دعامات الإسلام ، وتزداد النصيحة أهمية للولاة والحكام لأنهم من أولى الناس بها لعظيم مكانتهم وكبير حقهم ولقوة أثرهم في الرعية.

2 - إن المقصود بولي الأمر في الأية هما الأمراء والعلماء والإمام هوالذى اجتمع المسلمون واصبح له قدرة وسلطان يفعل بها مقصود الولاية فهو ولي أمرها شرعا.

3 - فالولاية أمانة يجب أداؤها على الوجه المطلوب كما قال النبي ﷺ لأبي ذر رضى الله عنه أنها أمانة و أنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها.

4 - ولاية أمرالمسلمين أمر ذو شأن عظيم، وهو حق و واجب، وأمانة ومسؤولية من أخذها بحق وآداها بإخلاص فهو محمود عند الناس ومأجور عند الله تعالى، ومن ارتكب بالخيانة فيها فهو مجرم أثيم.

5- تجب على الرعية مداومة النصيحة لولي أمرها بالطريقة الشرعية من نصحه سرا، بالكلام الطيب والأسلوب الحسن والدعاء له بالتوفيق.

6 - وجود العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس النصح والإخلاص أمر مطلوب لإصلاح أمور العباد والبلاد.

7- إن الشرع الإسلامي الحكيم قد قرر لولي الأمر حقوقا يجب على الرعية أداؤها، ومن أهمها: وهي الطاعة والإنقياد،والنصح والإخلاص،والوفاء بالبيعة،والتوقير والاحترام ،والتعزير والنصرة،والصبر وعدم الخروج.كما على ولي الأمر واجبات ومسؤوليات يجب عليه القيام بها ليحصل التوازن والاعتدال بين الراعي والرعية. وهم-حكاماومحكومين-بحاجة ماسة في أداء الحقوق والواجبات اللازمة عليهم قبل أن يطلبوا مالهم.

ثانيا : التوصيات والمقترحات:

1 - فعلينا الجميع أن نبرز على الناس أهمية النصيحة وضرورتها للولاة والحكام.

2 - يجب على المسلمين عموما وعلى علمائهم خصوصا بأخذ الأساليب والطرق المناسبة لنصيحة الولاة والحكام.

3- فعلى الناصحين أن يختاروا عند إسداء النصيحة من أسلوب جميل و وسيلة مناسبة حتى يكون للنصيحة أكبر أثر وأكثر قبول عند الولاة.

4 - علينا أن نتعرف على نماذج من تطبيقات النصيحة للولاة قديما وحديثا وتحليلها وتقويمها للاستفادة منها،لأن الأمة الإسلامية في أمسّ الحاجة للإلتفات نحو تاريخ سلفها الصّالح للإقتباس والإقتداء والإعتبار.

5- المساهمة في نشر ثقافة النصيحة القائمة على محبة الخير للولاة والحكام والحرص على صلاح حالهم الدينية والدنيوية.

6 - على ولاة الأمور وعلى علماء الأمة أن يقتدوا بسيرة المصطفى ﷺوالخلفاء الراشدين وعلماء السلف الصالح في أداء ما عليهم من الواجبات تجاه الأمة.

7 - ضرورة جمع كلمة ولاة الأمور على كف الظلم ومنع الظالم من الظلم وإعانة المظلوم وإغاثة الملهوف في كل بلد من البلدان الإسلامية بأدا فريضة النصيحة .

8 - ضرورة أداء فريضة النصيحة لإزالة الفجوة بين حكام المسلمين ورعيتهم والتذكير لواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه الأمة.

وختاما أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يستمع القول ويتبع أحسنه وأن يهدينا إلى ما اختلف فيه من الحق بإذنه وأن يقينا شرور أنفسنا وشرور عباده وأن يحفظ بلاد المسلمين من المكروه وكيد عدونا وأن يحفظ ولاة أمورنا من كل سوء ومكروه . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

1 سورة النساء، الآية : 59.
2 مسلم ،ابو الحسين مسلم بن حجاج، صحيح مسلم ص: 1/ 74 رقم الحديث (55).
3 ابن منظور،ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب ، ص: 4439/6 ،دار المعارف 1119،القاهرة
4 سورة الأعراف ،الآية : 62
5 ابن الفارس، مقاييس اللغة ،ص:435/5 ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
6 ابن الأثير، ابوسعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث ، ص: 63/5 ،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان
7 الخطابي ، معالم السنن للإمام: ص: 125/4 مطبعة العلمية بحلب
8 الأصفهاني، الإمام الراغب، المفردات في غريب القرآن ، ص:2 /639 ،مكتبة نزار مصطفى الباز
9 ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم ص : 243/1 بتحقيق ماهر ياسين فحل ، مصدر الكتاب موقع صيد الفوائد
10 سورةالتحريم ،الأية:8
11 العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر ، فتح الباري ، ص:167/1،دار المعرفة، بيروت لبنان
12 النووى ،شرح صحيح مسلم ، ص:2 /37، المطبعة المصرية بالأزهر،الكبعة الأولى 1347ه
13 البخارى، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ، الجامع الصحيح ، ص: 36/1 رقم الحديث (57) ، المطبعة السلفية 1400ه
14 ابن حجر، فتح الباري ، ص: 140/1
15 ابوداؤد، سليمان بن أشعث السجستاني، سنن ابوداؤد ، ص : 245/4 رقم الحديث (4405) وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الرسالة ص: 58 حديث صحيح. وصححه أيضًا الألبان ينظر الإرواء، ص: 4/2
16 هو جزء من الحديث السابق
17 البغدادي ،خطيب ، الفقيه والمتفقه ، ص: 69/2 ، دار ابن الجوزي السعودية
18 مسلم، صحيح مسلم ، ص: 1/ 74 رقم الحديث (55)
19 النسائي،ابو عبد الرحمان احمد بن شعيب، سنن النسائي ، ص: 45/2 رقم الحديث (3016) وصححه الألبان
20 العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر ،فتح الباري ، ص: 138/1
21 ابن رجب الحنبلي ،جامع العلوم والحكم ، ص :223/1
22 النووى ، شرح صحيح مسلم ، ص:37/2
23 الكتاني ، نظم المتناثر من الحديث المتواتر ، ص: 160، دار الكتب السلفية
24 الشيخ صديق حسن خان، العبرة بما جاء في الغزو والشهادة والهجرة ،ص:34، دار الكتب العلمية بيروت
25 سورة القصص ، الأية:20
26 صحيح مسلم ص: 1/ 385 رقم الحديث (1715)
27 ابن رجب الحنبلي ،جامع العلوم والحكم ،ص : 1 /223.
28 ابن الأثير، ، النهاية في الغريب الحديث ، ص:63/5
29 الإمام الخطابي ، معالم السنن: ص: 125/4
30 سورة النساء، الآية : 59.
31 مسلم ، صحيح مسلم ص: 1/ 385 رقم الحديث (1715)
32 الصديقي،محمد بن علان، دليل الفا لحين ص:67 ، جمعية النشر والتأليف الأزهرية
33 ابن عبد البر ،الاستذكار ، ص: 8/ 579، بتحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي
34 ابن عبد البر ،التمهيد ، ص : 21/ 284 ، بتحقيق مصطفى بن احمد وغيرهم
35 ابن حزم ، رسالة الجامع ، ص : 56/2

36 النووى، شرح صحيح مسلم ، ص : 39/2.
37 المصدر السابق
38 ابن رجب الحنبلى ، جامع العلوم ،ص: 243/1
39 سورة طه ، الآية:44
40 مسلم ، صحيح مسلم ص: 1/ 381 رقم الحديث (537)
41 مسلم ، صحيح مسلم ص: 1/ 236 رقم الحديث (285)
42 السنة لإبن أبي عاصم ، ص:507/2 رقم الحديث (1130) بتحقيق باسم بن فيصل الجوابرة ،دار الصميعي
43 مسلم ، صحيح مسلم ص: 4/ 2290 رقم الحديث (2984)
44 النووى ،شرح صحيح مسلم ،ص: (37/2)
45 الشوكاني،محمد بن علي، السيل الجرار ، ص: 4 /267، بتحقيق محمود ابراهيم زايد
46 إبن غنام،العلامة، تاريخ نجد ، ص :87، بتحقيق ناصر الدين الأسد ،دار الشروق
47 ابن سعدي ، العلامة، الرياض الناضرة ،ص :67
48 الشيخ سعد بن ناصر الشثري ،حقوق الراعي والرعية ولزوم جماعة المسلمين ،ص :10
49 الشيخ سعد بن ناصر الشثري ،حقوق الراعي والرعية ص:11
50 الشيخ محمد القحطاني ،كتاب فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة ، ص :122
51 عبد العزيز البدري، الإسلام بين العلماء والحكام ، ص :106 ، المكتبة العلمية المدينة المنورة
52 ابو بكر الطرطوشي ، سراج الملوك ، ص: 32/1 ، بتحقيق جعفر البياتي
53 البخاري ،صحيح البخاري ، ص: 2 /66 رقم الحديث (7198)
54 الندوي،ابو الحسن، رجال الفكر والدعوة ، ص: 238 نقلاً عن رسائل الغزالي بالفارسية
55 ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك،ص:39/2 ، بتحقيق علي سامي النشار منشورات وزارة الإعلام بغداد 1977م.
56 سورة المائدة ، الآية : 1
57 مسلم ،صحيح مسلم ، ص: 1478/2، رقم الحديث(1851)
58 الماوردى، الأحكام السلطانية ، ص:51، بتحقق أحمد البغدادي ،مكتبة دار ابن قتيبة الكويت الطبعة الأولى 1409ه
59 وهي الزكوة و الخراج والعشور و الجزية و الغنائم و الفيئ و العشر و الصدقات و كذلك الأموال التي ليس لها وارث و كالغصوب والعواري و الودائع التي تعذر معرفة أصحابها ، انظر الموسوعة الفقهيه والفقه الإسلامي للوهبة الزهيلي
60 فمثلا قوله تعالى﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة آل عمران الآية:104 وقوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. سورة آل عمران الآية: 110
61 وقد مضى أقوال العلماء في ذلك ص: 12
62 ابن جماعة ،تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام ،ص:105، دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر الدوحة
63 الربيع الإباضي ،كتاب مسند ، ص:67
64 العقيلي، الضعفاء ، ص: 22/3، بتحقق حمدي بن عبد المجيد ،دار الصميعي
65 العسقلاني ، احمد بن علي بن حجر، تهذيب التهذيب لإبن حجر، ص:590/2، مؤسسة الرسالة
66 العسقلاني، تهذيب التهذيب ، ص:590/2
67 العسقلاني، تهذيب التهذيب ،ص:197/3
68 عبد الرزاق، المصنف ، ص :336/11 رقم (20701)، ، وذلك عن دار الكتب العلمية،1401 ه
69 العسقلاني، تهذيب التهذيب ، ص:197/3
70 تفسير المراغي للقران الكريم ، ص :8 / 32، طبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر،الطبعة الأولى 1365 ه
71 عبد الرزاق، المصنف ، ص :278/13 رقم (35629)
72 العسقلاني، تهذيب التهذيب ، ص: 380/4